ثم فعله اما يختص هو بنفعه او ينتفع به غيره فصارت الاقسام ثلاثة ليس لها رابع احدها ما يقوم
بالعامل لا يتعلق بغيره كالصلاة مثلا والثاني ما يعمله لنفع غيره كالزكوة والثالث ما يامر غيره ان يفعله
فيكون الغير هو العامل وحظه هو الامر به فقال سبحانه في صفة المنافقين يامرون بالمنكر وينهون عن
المعروف وبازائه في صفة المؤمنين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر والمعروف اسم جامع لكل
ما يحبه الله من الايمان والعمل الصالح والمنكر اسم جامع لكل ما نهى الله عنه ثم قال ويقبضون
ايديهم قال مجاهد يقبضونها عن الانفاق في سبيل الله وقال قتادة يقبضون ايديهم عن كل خير
فمجاهد اشار الى النفع بالمال وقتادة اشار الى النفع بالمال والبدن وقبض اليد عبارة عن الامساك
كما في قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وفي قوله وقالت اليهود يد الله
مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وهي حقيقة عرفية
ظاهرة من اللفظ او مجاز مشهور وبازاء قبض ايديهم قوله في المؤمنين يؤتون الزكوة فان
الزكاة وان كانت قد صارت حقيقة عرفية في الزكاة المفروضة فانها اسم لكل نفع للخلق
من نفع بدني او مالي فالوجهان هنا كالوجهين في قبض اليد ثم قال نسوا الله فنسيهم
ونسيان الله ترك ذكره وبازاء ذلك في صفة المؤمنين يقيمون الصلاة فان الصلاة
ايضا تعم الصلاة المفروضة والتطوع وقد يدخل فيها كل ذكر لله اما لفظا واما معنى
قال ابن مسعود رضي الله عنه ما دمت تذكر الله فانت في صلاة وان كنت في السوق وقال
معاذ ابن جبل مدارسة العلم تسبيح ثم ذكر ما وعد الله به المنافقين والكفار من النار
في الاخرة ومن اللعنة ومن العذاب المقيم وبازائه ما وعد المؤمنين من الجنة والرضوان و
من الرحمة ثم في ترتيب الكلمات والفاظها اسرار كثيرة ليس هذا موضعها وانما الغرض تمهيد
قاعدة لما سنذكره ان شاء الله وقد قيل ان قوله ولهم عذاب مقيم اشارة الى ما هو لازم لهم
في الدنيا والاخرة من الالام النفسية غما وحزنا وقسوة وظلمة قلب وجهلا فان للكفر
والمعاصي من الالام العاجلة الدائمة ما الله به عليم ولهذا تجد غالب هؤلاء لا يطيبون
عيشهم الا بما يزيل العقل ويلهي القلب من تناول مسكر ورؤية ملهي او سماع مطرب ونحو
ذلك وبازاء ذلك قوله في المؤمنين اولئك سيرحمهم الله فان الله يعجل للمؤمنين
من الرحمة في قلوبهم وغيرها بما يجدونه من حلاوة الايمان ويذوقونه من طعمه وانشراح
صدورهم للاسلام الى غير ذلك من السرور بالايمان والعلم والعمل الصالح بما لا يمكن وصفه

قال

٧

قال سبحانه وتعالى في تمام خبر المنافقين كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا الاية وهذه
الكاف قد قيل انها رفع خبر مبتدا محذوف تقديره انتم كالذين من قبلكم وقيل نصب بفعل محذوف
تقديره فعلتم كالذين من قبلكم كما قال النمر بن تولب كاليوم مطلوبا ولا طالبا اي لم ار كاليوم و
التشبيه على هذين القولين في اعمال الذين من قبل وقيل ان التشبيه في العذاب ثم قيل العامل محذوف
اي لعنهم وعذبهم كما لعن الذين من قبلكم وقيل وهو الاجود بل العامل ما تقدم اي وعد الله المنافقين
كوعد الذين من قبلكم ولعنهم كلعن الذين من قبلكم ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم فمحلها نصب
ويجوز ان يكون رفعا اي عذاب كعذاب الذين من قبلكم وحقيقة الامر على هذا القول ان الكاف
يتناولها عاملان ناصبان او ناصب ورافع من جنس قولهم اكرمت واكرمني زيد والنحويون
لهم فيما اذا لم يختلف العامل كقولهم اكرمت واعطيت زيدا قولان احدهما وهو قول سيبويه
واصحابه ان العامل في الاسم هو احدهما وان الاخر حذف معموله لانه لا يرى اجتماع عاملين على معمول
واحد والثاني قول الفرا وغيره من الكوفيين ان الفعلين عملا في هذا الاسم وهو يرى ان العاملين
يعملان في المعمول الواحد وعلى هذا اختلافهم في نحو قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد وامثاله
فعلى قول الاولين يكون التقدير وعد الله المنافقين النار كوعد الذين من قبلكم ولعنهم كلعن الذين
من قبلكم ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم او كعذاب الذين من قبلكم ثم حذف اثنان من هذه
المعمولات لدلالة الاخر عليه وهم يستحسنون حذف الاولين وعلى القول الثاني يمكن ان يقال الكاف
المذكورة بعينها هي المتعلقة بقوله وعد وبقوله ولعن وبقوله لهم عذاب مقيم لان الكاف لا يظهر
فيها اعراب وهذا على القول بان عمل الثلاثة النصب ظاهر واذا قيل ان الثالث يعمل الرفع فوجهه
ان العمل واحد في اللفظ اذ التعلق تعلق معنوي لا لفظي واذا عرفت ان من الناس من يجعل
التشبيه في العمل ومنهم من يجعل التشبيه في العذاب فالقولان متلازمان اذ المشابهة في الموجب
تقتضي المشابهة في الموجب وبالعكس فلا خلاف معنوي بين القولين وكذلك ما ذكرناه من
اختلاف النحويين في وجود الحذف وعدمه انما هو اختلاف في تعليلات ومآخذ لا يقتضي
اختلافا لا في اعراب ولا في معنى فاذا الاحسن ان يتعلق الكاف بمجموع ما تقدم من العمل والجزا
فيكون التشبيه فيهما لفظا وعلى القولين الاولين يكون قد دل على احدهما لفظا وعلى الاخر لزوما
وان سلكت طريقة الكوفيين على هذا كان ابلغ واحسن فان لفظ الاية يكون قد دل على المشابهة
في الامرين من غير حذف والا فيضمر حالكم كحال الذين من قبلكم وهو قول من قدر انتم كالذين

وهو ذلك

Copyright © King Saud University